لغة العرب

مجلة شهرية أدبية علمية تاريخية

الجزء ٣ — من السنة ٥

الحركات العربية المجهولة

Les voyelles brèves dans la langue arabe.

تمهيد

كل من درس اللغة العربية في كتب اصولها ، (اي في مؤلفات الصرفيين والنحاة) ، يظن ان ليس في لساننا من الحركات سوى ثلاث : الضمة والفتحة والكسرة ، كما هو شائع في المدارس ، ولم يكن ابدا لسلفنا حركات اخرى.

ويظن بعضهم ان الحركات المتوسطة بين هذه الثلاث نشأت بعد الاسلام من مخالطة اجدادنا للاجانب ، بعد ان طال الاحتكاك بهم فكانت النتيجة ان اتخذوا حركاتهم على اختلاف انواعها .

قلنا : وليس الامر كما توهموه ، فان الحركات المتوسطة التي نسميها «الضعيفة او الضئيلة» هي في لساننا قبل الاسلام بكثير بل منذ نشوء اللغة نفسها ودونك ادلتنا :

١ — من محاكاة الطبيعة

واول هذه الادلة: ان اللغة هي محاكاة اصوات الطبيعة . والحال ان محاكاة هذه الاصوات متوفرة في بلادنا ، فهبوب الرياح لا ينقطع ، واصوات المياه جارية وقهيف الرعد شديد ، وابناؤنا يالفون الحيوان والطائر في كل ساعة بل كل

دقيقة ، فلماذا لايكون عندنا مايشبه نطقها ، على حد مايزى في سائر الديار من همجية وحضرية . اذن القول بوجود مايحاكي اصوات الطبيعة في لساننا هو امر قريب من العقل ، بل القول بخلافه يكاد يكون محالا .

٢ — من مقابلة اللغات الاخوات

اللغة العربية سامية النجار ، فهي اخت للعبرية والارمية والصابئية وغيرها ولهذه الالسنة حركات مختلفة غير الحركات الثلاث فيظهر انه من المعقول ان يكون مثل تلك الحركات في كلام بني يعرب ، قحطانيين كانوا او عدنانيين ، جنوبيين او شماليين ، شرقيين او غربيين ، اقدمين او محدثين .

٣ — من اللغات في الكلمة الواحدة

في لغتنا الضادية الفاظ تكتب بصورتين او اكثر ، مما يدل على ان هناك الفاظا كان ينطق بها بوجه وسط او بوجهين وسطين او مختلفين ، فيجتمع في الحرف الواحد لغتان اوثلاث ، بل ربما اكثر ، ولهذا حاول بعضهم تصويرها بهيئات مختلفة ، وقد ورد هذا الامر في النكرات كما في الاعلام . فقد قالوا مثلا : قار وقير ، قراثاء وقريثاء ، كاه وكيء ، كائة وكيئة . ومثل هذه المفردات كثير في لغتنا .

اما في الاعلام فكقولهم : همانية وهمينية (وهي من قرى بغداد في سابق العهد) وفارة (بتشديد الراء المفتوحة) وفيرة (بتشديد الراء المضمومة) وهم يريدون تصوير الكلمة الاسبانية Ferro اي حديد ، وهو اسم رجل جديوسف ابن محمد الانصاري الاندلسي . وقال بعضهم : سلوقية وآخرون سليقية . الى غيرها . وكل ذلك ناشيء من اختلاف التلفظ بالحركات ، وهو كثير بكثرة الاعلام المبهمة الحركة . تلك الحركة التي هي بين بين . ان كانت قريبة الى الفتح او الى الكسر او الى الضم .

٤ — من تلقي اصول التجويد

تتضح هذه الحركات من تلقي اصول التجويد عن معلم خبير بالقراءة . فان اساتذة هذا الفن يجيدون التلفظ بانواع تلك الحركات وبدقائقها . فينجلي لك الامر كل الجلاء والحال يذهب عنك الوهم الذي وقع لك اي ان الحركات ثلاث لاغير .

٥ — نصوص بعض الاقدمين من الصرفيين والنحاة

قال في الاشباه والنظائر النحوية للسيوطي نقلا عن شيوخه وعن مؤلفات السلف . « قال ابن جني في باب كمية الحركات : اما ما في أيدي الناس في ظاهر الامر ، فثلاث ، وهي : الضمة والكسرة والفتحة . ومحصولها على الحقيقة ست وذلك ان بين كل حركتين حركة .

« فالتي بين الفتحة والكسرة هي الفتحة قبل الالف الممالة (١) نحو فتحة عين «عالم» و «كاتب» . كما ان الالف التي بعدها بين الالف والياء (قلنا نحن اي المقابلة لحرف e الفرنسي).

« والتي بين الفتحة والضمة التي هي قبل الف التفخيم (٢) نحو فتحة لام «الصلاة ، والزكاة ، والحياة» وكذلك قام وعاد (اي يقابل الحرف الفرنسي o)

« والتي بين الكسرة والضمة (٣) ، فككسرة قاف « قيل » وسين « سير » (هذه يقابلها عند الفرنسيين حرف u) فهذه الكسرة المسماة ضما . ومثلها الضمة المسماة كسرة . كنحو قاف « القرء » وضمة « مدعور ابن يور » فهذه ضمة اشربت كسرة (قلنا هي المقابلة حرف e الخالي من كل حركة كالذي يتلفظ به في مثل le و perle و aimable الواقع في آخر هذه الكلمات الثلاث او نحوها) كما انها في « قيل وسير » كسرة اشربت ضما . فهما لذلك كالصوت الواحد ، لكن ليس في كلامهم ضمة مشربة فتحة ولا كسرة مشربة فتحة (قلنا : اي ان في لساننا مثل الحرف الفرنسي u ممدودا ومقصورا ومثل e الخالي من الحركة ويكون في لغتنا الاول وفي الوسط وفي الاخر بخلاف الفرنسية فليس فيها مثل هذا الحرف او الحركة إلا في الاخر)

« ويدل على ان هذه الحركات معتدات اعتداد سيبويه بالف الامالة والف التفخيم حرفين غير الالف المفتوح ماقبلها .

(١) وذلك في قراءة ورش . وتسمى الطويلة او الممدودة بالالف الممالة والمقصورة بالفتحة الممالة.

(٢) وتسمى الممدودة والطويلة منها بالالف المفخمة ، والقصيرة منها بالفتحة المفخمة

(٣) وهي حركة الاشمام وقد تسمى روما . وتسمى الطويلة منها والممدودة : الواو والياء ذات الاشمام ، والمقصورة منها حركة ذات الاشمام .

« وقال صاحب البسيط : « جملة الحركات المتنوعة اربع عشرة حركة : ثلاث للاعراب ، وثلاث للبناء ، وثلاث متوسطة بين حركتين ، احداهما : بين الضمة والفتحة ، وهي الحركة التي قبل الالف المفخمة في قراءة ورش ، نحو الصلاة والزكاة والحياة . والثانية بين الكسرة والضمة ، وهي حركة الاشمام في نحو قيل وغيض على قراءة الكسائي . والثالثة بين الفتحة والكسرة وهي الحركة التي قبل الالف الممالة . والعاشرة : حركة اعراب تشبه حركة البناء وهي فتحة ما لاينصرف في حال الجر على مذهب من جعلها حركة اعراب .

« والحادية عشرة حركة بناء تشبه حركة الاعراب . وهي ضمة المنادى وفتحة المبني على مذهب من جعلها حركة بناء .

« والثانية عشرة : حركة الاتباع .

« والثالثة عشرة : حركة التقاء الساكنين .

« والرابعة عشرة : حركة ماقبل ياء المتكلم على مذهب من جعله معربا فانه جيء بها لتصح الياء وليست حركة اعراب ، ولا حركة بناء . قال : وانما لقبت الحركات بهذا اللقب لانها تطلق الحروف بعد سكونها وكل حركة تطلق الحرف نحو اصلها من حروف اللين فاشبهت بذلك انطلاق المتحرك بعد سكونه . وقال المهلبي في نظم الفرائد :

عدونا جملة الحركات ستا ... وستا بعدها ثم اثنتين
فاعراب ثلاث او بناء ... ثلاث او ثلاث بين بين
وشهتان والاتباع حاجب ... واخرى لالتقاء الساكنين
وواحدة مذبذبة تردت ... لدى اخواتها في حيزين

« وقال بعضهم الحركات سبع حركة اعراب وحركة بناء وحركة حكاية وحركة اتباع وحركة نقل وحركة تخلص من سكونين وحركة المضاف الى ياء المتكلم » انتهى كلام السيوطي من كتابه الاشباه والنظائر .

٦ — من اقدم الشواهد في اللغة

ومن ادلة الامالة منذ الزمن الواغل في القدم ، اسم الفاعل الذي على وزن فيعل في الاجوف وهو — ولاشك في ذلك — امالة فاعل . فقد قالوا : سيد

(بالتشديد) واصله سيود ، واصل هذا على ما عندي ساود . لكن بامالة الالف الى الياء اي سايود بمعنى سائد . وكذلك القول في كل فيعل بتقديم الياء على العين والالفاظ كثيرة من هذا القبيل وكلها مشتقة من افعل جوفاء كدكس والعين والجيد والقيم والعيل والميت الى غيرها وتعد بالمئات . وانت تعلم ان وزن فيعل (المكسور العين) لاوجود له في الصحيح من كلامنا . وهذا ما يدلك على ان فيعل هو امالة فاعل الاجوف لاغير ، والامالة تكثر في كل وزن فاعل كما لا يخفى عليك وكما تلقيته عن اساتذتك .

٧ — شهادة اللغويين الواضحة

يؤخذ من عدة نصوص للصرفيين والنحاة واللغويين ان الامالة على ضربين : امالة محضة وامالة بين بين . وسموا الامالة المحضة «ثقيلة او اضجاعا» والامالة بين بين عرفوها باسم « الامالة الخفيفة » ايضا — قال السيد مرتضى صاحب تاج العروس في مادة اف ف : « افى بغير امالة (اي بالحرف الافرنجي Uffa) وافى بالامالة المحضة (اي Uffé) وقد قرىء به . وافى بالامالة بين بين (اي Uffè) وقد قرىء به ايضا . والالف في الثلاثة للتأنيث » اه كلامه .

فهذا نص صريح للفظ قديم يدل احسن دلالة على ما كان عند العرب منذ العهد العهيد على نوعي الامالة وهو كلام نفيس يقدره العلماء حق قدره على صدق فكرتنا ورأينا .

وفي التاج ايضا : قال ابن الانبر : قد اماات العرب « لا » امالة خفيفة والعوام يشبعون امالتها فتصير الفهاء وهو خطأ . وهذه كلمة ترد في المحاورات كثيرا وقد جاءت في غير موضع من الحديث . ومن ذلك في حديث بيع الثمر : « اما لا فلا تبايعوا ، حتى يبدو صلاح الثمر » . وفي حديث جابر : « رأى رجلا نادما ، فقال : لمن هذا الجمل ؟ وفيه : فقال : اتبيعونه ؟ قالوا : لا ؛ بل هو لك فقال : اما لا : فاحسنوا اوليه حتى يأتي اجله ؟ » قال الازهري : اراد ان لا تبيعوه فاحسنوا اليه ؛ و«ما» صلة . والمعنى : لا : فوكدت بما . و«ان» حرف جزاء هنا . قال ابو حاتم : العامة ربما قالوا في موضع « افعل ذلك » « اما لا افعل ذلك » بلوي » وهو فارسي (اي كلمة باري . وهي تستعمل في بغداد الى عهدنا هذا) مردود . والعامة تقول ايضا : « أمالي » فيضمون الالف وهو خطأ ايضا

قال والصواب «امالا» غير ممال لان الادوات لاتمال .

« قلت : وتبدل العامة ايضا الهمزة بالهاء مع ضمها . وقال الليث : قولهم : « اما لا ، فافعل كذا » انما هي على معنى : « ان لاتفعل ذلك ، فافعل ذا » ولكنهم لما جمعوا هؤلاء الاحرف قصرن في مجرى اللفظ مثقلة فصار «لا» في آخرها كانه عجز كلمة فيها ضمير ماذكرت لك في كلام طلبت فيه شيئا ؛ ترد عليك امرك ؛ فقلت : اما لا فافعل ذا .

« وفي المصباح : الاصل في هذه الكلمة ان الرجل يلزمه اشياء ويطالب بها فيمتنع منها ، فيقنع منه ببعضها ويقال له « اما لا فافعل هذا » اي ان لا تفعل الجميع فافعل هذا . ثم حذف الفعل لكثرة الاستعمال . وزيدت «ما» على ان توكيدا لمعناها . قال بعضهم : ولهذا تمال «لا» هنا لنيابتها عن الفعل كما امالت « بلى » و « يا » في النداء . ومثله : « من اطاعك فاكرمه ومن لا فلاتعبأ به . وقيل الصواب عدم الامالة لان الحروف لا تمال » انتهى الكلام على ما في التاج في مادة ما .

٨ — شهادة علماء البلدان

قال ياقوت في معجم البلدان : حوارين (بضم اوله . ويكسر . وتخفيف الواو وكسر الراء وياء ساكنة ونون) بلدة بالبحرين افتتحها زياد ... وقال الخوصي : حوارين بلفظ التثنية وكسر اوله : والجبار : قريتان بالبحرين ... واختلفوا في قول الحرث بن حلزة :

وهو الرب والشهيد على يو م الحوارين والبلاء بلاء

فروى ابن الاعرابي : الحوارين بلفظ التثنية وكسر الحاء ؛ وروى غيره « الحيارين » بالياء يقال : هما بلدان ، وقال آخرون « الحيارين » بكسر الحاء والراء وهو يوم من ايام العرب مشهور . اه

وقال في خوارزم : اوله بين الضمة والفتحة والالف مشربة مختلسة ليست بالف صحيحة . هكذا يتلفظون به . هكذا ينشد قول اللحام فيه :

ما اهل خوارزم سلالة آدم ماهم وحق الله غير بهائم . انتهى

وقال السيد مرتضى في تفليس : تفليس بالفتح وقد تكسر فيكون على وزن فعليل ؛ وتجعل التاء اصلية لان الكلمة جرجية وان وافقت اوزان العربية ومن

فتح التاء جعل الكلمة عربية ؛ ويكون عنده على وزن تفعيل. نقله الصاغاني وقد ذكره المصنف (اي الفيروزابادي) رحمه الله اولا ونسب الكسر الى العامة .اه

٩ — شهادة المجودين

من اجلى الادلة على ان للعرب حركات كحركات لغة العبريين والفرنسيين من الافرنج نصوص المجودين الصريحة. فقد عرفوا كلا منها تعريفا لا يبقي الريب في صدر احد . من ذلك :

١ — ﴿الاشمام﴾ قالوا هو الاشارة الى الحركة من غير تصويت. وذلك بان تضم الشفتان بعد الاسكان في المرفوع والمضموم للاشارة الى الحركة من غير صوت . والفرق بينه وبين الروم ان هذا يختص بالضم وذاك لا يختص بحركة. وذاك يدركه الاعمى والبصير لان فيه حظا للسمع وهذا لا يدركه الا البصير اذ لا حظ للسمع فيه وانما يتبين بحركة الشفة وهي لا تعد حركة لضعفها والحرف الذي يقع فيه الاشمام ساكن او كالساكن. والاشمام مشتق من اشم الحرف اذا اذاقه الضمة او الكسرة بحيث لا يسمع .

٢ — ﴿الروم﴾ هو النطق ببعض الحركة في الوقف او عن حركة مختلسة مخفاة وهو اكثر من الاشمام لانه يدرك بالسمع ويختص بغير المفتوح لان الفتحة لا تقبل التبعيض في جميع الحركات .

٣ — ﴿الاختلاس﴾ مصدر اختلس القارىء الحركة لم يبلغها ويقابله الاشباع .

٤ — ﴿الاشباع﴾ مصدر اشبع الحركة اذا بلغها حتى تصير بلفظ حرف المد .

٥ — ﴿الامالة او البطح﴾ هي ان تنحو بالالف نحو الياء وبالفتحة نحو الكسرة. ولها اسباب ذكرها الصرفيون والنحاة (راجع باب الامالة في الكتب وفي مؤلفات اهل العربية)

٦ — ﴿الاضجاع﴾ الاضجاع في باب الحركات كالامالة والخفض والتسمية من باب المجاز . يقال اضجع الحرف اي اماله الى الكسر .

٧ — ﴿التسهيل﴾ هو ان تقرا الهمزة بين نفسها وبين حركتها اي بين الهمزة والواو ان كانت مضمومة وبين الالف ان كانت مفتوحة وبينها وبين الياء ان كانت مكسورة ويقال لها ايضا «بين بين»

٨ — ﴿التفخيم او التفشي﴾ هو على رأي الحكمي ، ان تقرأ القرآن

قراءة الرجال ؛ ولا يخضع الصوت فيه ككلام النساء ؛ قال ولا يدخل في هذا كراهة الامالة التي هي اختيار بعض القراء .

٩ — «الترقيق» هو خلاف التفخيم .

١٠ — «الشوب» استعمل بعض النحويين الشوب في الحركات . فقال ابو الفتحة المشوبة بالكسرة فالفتحة التي قبل الامالة: نحو فتحة عين عابد وعارف قال: وذلك ان الامالة انما هي ان تنحو بالفتحة نحو الكسرة فتميل الالف نحو الياء اضرب من تجانس الصوت. فكما ان الحركة ليست بفتحة محضة كذلك الالف التي بعدها ليست الفا محضة وهذا هو القياس لان الالف تابعة للفتحة فكما ان الفتحة مشوبة فكذلك الالف اللاحقة لها .

١٠ — شهادة الشعراء

قال الفرزدق:

فما حل من جهل حبا حلمائنا ولا قائل المعروف فينا يعنف

اراد «حل» على ما لم يسم فاعله ؛ فطرح كسرة اللام على الحاء — قال الاخفش سمعنا من ينشده كذا. قال وبعضهم لا يكسر الحاء ولكن يشمها الكسر كما يروم في «قيل» (وتلفظ qula على الوجه الفرنسي) الضم وكذلك لغتهم في المضعف. ثم رد وشد (هذا الكلام من اول حرفه الى آخره عن لسان العرب لابن مكرم)

وقال الراجز :

ليت ! وهل تنفع شيئا ليت؟ ليت شبابا «بوع» فاشتريت!

(راجع الاشموني على حاشية الصبان ٢:٤٣) قال وتعزى هذه اللغة لبني نهشل وبني دبير » اه . وفي ابن عقيل (ص ١١٥ من طبعة بيروت) وهما من فصحاء بني اسد . والاشمام هو الاتيان بحركة بين الضم والكسر ولا يظهر ذلك إلّا في اللفظ ولا يظهر في الخط » اه

قلنا : ولا يظهر في الخط لان العرب اجدادنا لم يضعوا له علامة : وإلّا فالعبريون والفريبون قد اصطلحوا على وضع علامة تدل عليه .

وعندنا غير هذه الشواهد وهي كثيرة تكاد تقع في عشر صفحات من هذه المجلة فاكتفينا بما ذكرنا لكي لا نحرج الصدور على ما لا زيادة فائدة فيه.